ـ جغرافية إقليمية   د. عبد الرسول الموسى

الفقرة الأولى

ومن الثابت أن المدينة لا يمكنها بوجه عام أن تعيش على الوظائف المحلية. فلو كانت المدينة تعيش لذاتها بلا وظيفة إقليمية، لوجب أن تكفي نفسها بنفسها من حيث الخام والطعام والإنسان، ولكانت بذلك مجرد وحدة سكنية بحتة أو خلية إكتفائية، وهذا عكس الواقع ونقيض فكرة المدينة في أبسط صورها. ولهذا لا يمكن أن نتصور الريف بلا مدينة أو المدينة بلا ريف. وإذا كنا نقابل الآن مدناً شيطانية بلا قاعدة إقليمية واسعة، فهذا ليس إلا طفرة حديثة جداً في تاريخ المدينة، فهي شاذة ونادرة وأكثر من هذا عابرة أساساً.

الفقرة الثانية

والأصل أن العلاقة بين المدينة والريف علاقة تكاملية: المدينة قلب الإقليم بمثل ما أن الوسط التجاري في المدينة قلبها، والمدينة «نواة» الإقليم الريفي الذي يتبلور حولها، أو كما يقول راؤول بلانشار، المدينة هي الرأس والإقليم هو الجسم. والواقع أن الدور الإقليمي للمدينة لا يقصد به العلاقات مع الريف المجاور فقط، وإنما علاقات هذا الريف بالمدن والأقاليم الأخرى البعيدة: «فالمدينة تمد يداً إلى الريف التابع واليد الأخرى إلى مدن الأقاليم وأقاليم المدن الأخرى». بمعنى آخر ليست المدينة رأس الإقليم فحسب، ولكنها ولي أمره كذلك.

الفقرة الثالثة

يرى معظم الكتاب أن نبحث عنها في إقليم المدينة. فقديماً ـ منذ قرن ربع قرن تقريباً ـ كانت المدينة وحدها أو القرية وحدها هي وحدة الحياة مجتمعية الواعية. ولكن تطور المواصلات وتعقد الحضارة بزيادة تعدد خدمات الحديثة جداً أدى إلى ضرورة تركيزها تركيزاً محدداً في مراكز كبرى رب أو وسط تجمعات السكان العظمى. وإلى درجة لم نعرف من قبل طلاقاً، بدأ سكان المناطق الريفية المحيطة يتطلعون إلى المدن الكبرى، يسعون إلى خدماتها سواء بالانتقال اليومي أو الفتري أو بالعلاقات الدائمة معها. والآن أكثر من أي وقت مضى أصبحت الحلة النووية أساس تنظيم مجتمع: فالريف يتطلع إلى القرية، والقرى إلى المدينة، والمدن إلى مدينة أم كبرى (متروبوليس).

الفقرة الرابعة

١ ـ العاصمية والإقليمية. ما مغزى الإقليمية على التركيب المدني دولة؟ إن للإقليمية التي تستهدف العدالة الإقليمية الجغرافية انعكاسات خطيرة لى مجتمع المدن في الدولة. حيث إن المدينة هي ذلك «المسار المحوري» حيوي في التنظيم الإقليمي للمجتمع. فلكي نضمن شبكة من القيم والفرص حضارية «وثمرات الحضارة» المتكافئة بقدر الإمكان في جميع أجزاء الدولة، لا بد من توزيع أثقال المدن على مساحة الدولة بعدالة. ومعنى هذا شبكة من العواصم الإقليمية» الطبيعية من حجم كبير معقول لتكون القواعد الحضارية أقاليم الدولة المختلفة. وستكون العاصمة القومية بالطبع أكبر حجماً. ولكن

الفقرة الخامسة

٣ ـ أقطاب التنمية. وهنا يجب أن يكون واضحاً أن هذا النقل لن يكون إلى مدن جديدة تُنشأ خاصة لهذا الغرض، بل يجب أن ينصرف الاهتمام أولاً إلى المدن القائمة فعلاً حتى ولو كانت صغيرة لأنها تمثل رأسمال وبيئة جاهزة، بينما المدينة الجديدة تظل «خاماً» وناقصة في وظائفها ومرافقها مدة طويلة قبل أن تنضج، فالمدن القائمة ـ باتفاق جميع المخططين ـ اقتصادية أكثر من المدن الجديدة كنواة للتنمية الإقليمية. وبطبيعة الحال لن تنتخب من المدن الإقليمية الصغيرة لهذا الغرض إلا من تتوافر فيها شروط الموقع الجيد أولاً والإمكانيات المادية ثانياً.

الفقرة السادسة

إن البحث العلمي حول التفاعل الذي ميّز الجغرافيا الكلاسيكية بات من لتاريخ وللتاريخ . نقول من التاريخ من الماضي ، ماضي الجغرافيا ؛ وللتاريخ ، بمعنى أنه يفيد منه علم التاريخ أي في مقارباته للحقبات ، التي كانت الطبيعة فيها تملك الفاعلية في التأثير الحاسم على مجاري الأحداث ، قبل أن يسلب الإنسان هذه الفاعلية منها أي من الطبيعة .

الفقرة السابعة

إن مصطلح المجال أو (المساحة بأبعادها المختلفة) الذي يعنينا هنا ، هو ما ىير معانيه إلى حركة الإنسان على سطح الأرض ، فهو إذن مجال أرضي . مجال من التجوال ، ويعني التطواف ، فهو إذن كمصطلح يعني افتراض الأخذ ين الاعتبار المساحات والمسافات . والمجال أيضاً هو فضاء ، أو فراغ يحيط ، ويتيح لنا الحركة في حيز أرضي ، وهذا الحيز هو مكان والمكان هنا لا يعني محل أو المطرح (Lieu) أو الموضع (site) ، وانما المكان بالأبعاد التي يتكوّن ها ، والمشتقة من الأبعاد الثلاثية الأساسية التي بلورها إقليدس الاغريقي في ىندسة المعروفة باسمه ، أي الهندسة الاقليدية (Géométrie Euclidienne) التي ىنى بالأرض وقياساتها ، على ما يفيد الجذر (Géo) الأرض ، وما يلحق بها (métri .

الفقرة الثامنة

يكشف «بارك» عن أن المستوطنين في مدينة شيكاغو يحطون عند وصولهم ا في الأحياء المتناسبة . مع انتماءاتهم الثقافية الاثنية : الإيطالية ، الايرلندية ، ينية ، الافروأميركية ، اليهودية . . . وهي أحياء متحلقة حول المركز المدني اسي . أما في المرحلة اللاحقة وبالمساوقة مع نجاح أو فشل القادمين إلى دن في الحياة الاقتصادية الاجتماعية ينتقل هؤلاء إلى أحياء سكنية أخرى سب مع أوضاعهم المستجدة ، على الصعيد المهني .

الفقرة التاسعة

وجد بعض الجغرافيين في الجغرافيا الكمية ، أي في المنهج الكمي أو باضي ، ما يتيح لهم مجاوزة باراديغمات الجغرافيا الوصفية الأمبيرية ، وأقدموا . الستينات من القرن العشرين على اعتماد هذا المنهج دون غيره من المناهج ستخدامه في التصنيفات ، والتعميمات ، لاستخراج قوانين تنظيم للمكان ، بما و مجال أنشطة الجماعات ، وذلك عن طريق دراسة التوزيعات والمقارنات لعلاقات الجغرافية ؛ ومما شاع في بعض الأوساط خلال تلك الفترة ، أن قيمة جغرافي الأكاديمية ستكمن من الآن وصاعداً في براعته وقدرته على استخدام رياضيات من أجل التوصل إلى صياغة نماذج وأنظمة جغرافية قابلة للتعميم . الحال ، أصبح مصطلح النموذج (modéle) الجغرافي الرياضي (الكمي) في لسبعينات ، «موضة» صارخة في الأوساط الجغرافية التجديدية ، التي راحت تكثر ىن استخدام الرياضيات في معالجاتها للإشكاليات الجغرافية .

لم تكن الرياضيات غريبة على الجغرافيا فيما مضى . ذلك أن الجغرافين اضطروا للتعامل مع الاحصائيات في تناولهم لموضوعات الديموغرافيا

الفقرة العاشرة

إن المكان الذي يتشكل منه مجال نشاط الإنسانية صار اليوم يمتد على مساحة الكرة الأرضية بكاملها ، والبالغة ٥١٠ كلم٢ ، بعد أن كان يقتصر في الماضي على أجزاء محددة من هذه المساحة ، عندما لم تكن التقنيات ، تسمح للإنسان بأن يجوب الأرض بمختلف أصقاعها ، وأجزائها . ولهذا المكان ـ المجال ، أيضاً في يومنا ، ارتفاع يصل إلى نحو ١٥ كلم ، هو ما بين مستوى أعماق المناجم المستثمرة في القشرة الأرضية من جهة ومستويات خطوط الطيران العليا من شبكة المواصلات الجوية من جهة أخرى .

فضلاً عن ذلك ، فإن مجال النشاط والبشري يتسع مداه باستمرار نحو الأجواء

غيرأنه إذا كان للإنسانية في المكان الذي تحتله من الكون مجالاتها ، فإن د الإنساني بدوره مكاناً خاصاً به يشكل مجاله هو بمثابة مساحة ، أو مسافة ـله عن الفرد الآخر في مجاورة هذا لذاك ضمن الاجتماع البشري . وهذا جال الخاص ، يستخدمه الفرد في تواصله مع الآخر . مما يعني أن عنصر جال بهذا المعنى ، هو اتصال وتواصل ، وبالتالي فإن استخدام الإنسان الفرد جاله أو لحيزه الخاص يصبح نوعاً من أنواع النتاج الثقافي[1] .

← الفقرة الحادي عشر

لذا يقتضي التمييز بين البيئة الجغرافية ، وهي التي كانت تشكل أحد المحاور ئيسية في الجغرافيا الكلاسيكية ، والمجال الجغرافي الذي عملت الجغرافيا متجددة على صياغة مفهومه من جهة أخرى . وبالتالي لم تعد العلاقة بين طبيعة والإنسان بحد ذاتها هي الأساس في الجغرافيا ، بل صارت الأبعاد الخصائص المكانية ، والاجتماعية ، لما تنتجه هذه العلاقة هي التي تشكل هدف جغرافيا المتجددة . بمعنى آخر ، يكمن التوجه الجديد للجغرافيا في إعادة لاعتبار لمفهوم المكان ، على حساب مفهوم البيئة ، واستطراداً إعادة الاعتبار للاجتماع الإنساني على حساب الطبيعة ، وذلك بعد أن كانت الجغرافيا لكلاسيكية قد أغرقت نفسها في العلاقة بين الإنسان والطبيعة ، على ما رأينا سابقاً . وعليه ، صار استهداف التوجه الجديد للجغرافيا فيما خص البيئة أو الطبيعة ، يرتكز على ما تساهم به هذه الأخيرة في تشكيل المكان الذي تتعامل معه هذه الجماعة أو تلك . أي تشكيل المجال الجغرافي . ~~[illegible]~~

← الفقرة الثاني عشر

إعداد الطالب : زيد الحربي

إهداء من نادي الهوية الجغرافية

نادي الهوية الجغرافية
@Geo_dept_Ku
Geo_dept_Ku@live.com